

رأى اجناسيو سانشو ميخياس

فيدريكو غارسيا لوركا

اجناسيو سانشو ميخياس ، مصارع الثيران الشهيد ، وصديق لوركا وماخادو ، الشاب الذي يمثل وجها رائعا من اسبانيا الحارة ، يقتله الثور ، فيلهم مقتله شاعرين من اعظم شعراء اسبانيا هما فيدريكو غارسيا لوركا وانطونيو ماخادو قصيدتين من اروع ما نظم في الشعر الاسباني حوالى الثلاثينات ، ومن القصيدتين تتميز قصيدة لوركا بمشاركة غريبه متنبهه وبتقنيته خاصة ، ان الجهد الشعري وتوقع الموت والقيم اللافتة ، تلتقي في تصعيد واحد ..
اجل ... حتى البحر يموت ، وهكذا مات فيدريكو ، لم تفتح الطحالب والاعشاب زهرة جمجمته مثل اجناسيو ، وانما فتحت جمجمته طلقات الرصاص امام العيون الصخرية لرجال الحرس المدني .

س. ي.

١ - الانتقاد والموت

في الخامسة بعد الظهر
كانت تماما الخامسة بعد الظهر
جاء طفل بقماشة بيضاء
في الخامسة بعد الظهر
سلة من الرخام مهيأة بسرعة
في الخامسة بعد الظهر
البقية كانت الموت والموت وحده
في الخامسة بعد الظهر
الريح حملت بعيدا القطن الطبي
في الخامسة بعد الظهر
وزجاجة اليود المهشمة والنيكل
في الخامسة بعد الظهر
والآن تتقاتل الحمامة مع الفهد
في الخامسة بعد الظهر
وورك بقرن رهيب
في الخامسة بعد الظهر
نوايس من الزرنخ ، ودخان
في الخامسة بعد الظهر
وجماعات صامتة في الزوايا
في الخامسة بعد الظهر
والثور وحده تملأ قلبه البهجة
في الخامسة بعد الظهر
حين كانت عدوبة الثلج تهب
في الخامسة بعد الظهر
حين كانت حلبة مصارعة الثيران مغطاة
(باليود)

في الخامسة بعد الظهر
الموت يضع بيوضه في الجرح
في الخامسة بعد الظهر
في الخامسة بعد الظهر

في الخامسة تماما بعد الظهر
فراشة تابوت من العجلات
في الخامسة بعد الظهر
والآن .. كان الثور يخور على جبهته
في الخامسة بعد الظهر
الآن تتقدم الغنغرينا النائية
في الخامسة بعد الظهر
بوق من الليلاك في حقويه الاخضرين
في الخامسة بعد الظهر
لقد اشتعلت الجراح كالشموس
في الخامسة بعد الظهر
وكانت الجماهير تحطم النوافذ
في الخامسة بعد الظهر
في الخامسة بعد الظهر
آه لتلك الساعة المفزعة .. الخامسة
(بعد الظهر)

لقد كانت الخامسة بعد الظهر في
(جميع الساعات)
لقد كانت الخامسة في ظل ما بعد الظهر
٢ - الدم المراق

لا اريد ان اراه
قل للقمر ان يأتي
لاني لا اريد رؤية دم اجناسيو على
(الرمل)

انا لا اريد ان اراه !
القمر الواسع الهائل
فرس الغيوم الساكنه
وحلبة الرؤى ، المغرّه
التي ترتدي حواجزها ثياب الحداد
انا لا اريد ان اراه !
فان ذاكرتي تشتعل

حذر ازهار الياسمين بنصاعتهن
(الخاطفة العمر)
انا لا اريد ان اراه !
ان بقرة العصور الخالية تمرر لسانها
(الحزين)
على مسرب قان من الدم المراق على
(الرمل)

وثيران جويساندو
نصفها موت ونصفها صخر
خارت كقطيعين من مائة متحرقين
(لك الارض)

لا .. انا لا اريد ان اراه
ان اجناسيو يرتقي المدارج وكل عناء
(موته على كتفيه)

كان ينشد الفجر
ولم يكن ثمة فجر
انه ينشد الارهاص الحاد
ولكن الموت اضله عن الدرب
كان ينشد قوامه الرائع
فلقي دمه يتدفق

لا تقل لي ان اراه
انا لا اريد ان احسه متدفقا
فاقدا عنفوانه قليلا قليلا
ذلك العنفوان الذي يضيء المقاعد
ويغمر بسحره الجماهير المتعطشه
من يصرخ بي لالقي نظرة ؟
لا تسألني النظر اليه .

لم تغلق عيناه حين رأى القرنين
(مندفعين قريبين)
ولكن الامهات المرتعبات أشحن
(بوجوههن)

وهبت على المزارع التي تسرح فيها
(الخيول)

نسمة من اصوات سريه
ان رعاة الضباب الشاحب يرعون
(ثيران السماء)

لم يكن امير في اشبيلية يقارن به
ولا سيف كسيفه
ولا قلب كقلبه

كانت قوته الهائلة كنه من الاسود
واحتراسه المثالي كتمثال من المرمر .
نفحات من روما الاندلسية توشى
(مفرقه)

وعلى ابتسامته ناردين من المرح
(والذكاء)

اي مقاتل عظيم في الحلبه !
اي ريفي طيب على التلال ؟
كم كان رفيقا مع الحنطه !
كم كان قويا مع المهماز !
كم كان رفيقا مع الندى !
كم كان يبهر الابصار ايام المهرجانات!
ولكنه الآن ينام الى الابد
والآن يجري دمه مغنيا

مغنيا خلال الدروب والمراعي والسهوب
متزحلقا على قرون يجمدها الزمهير
ملوحا بلا روح في الضباب
ملتقيا مع آلاف الحوافر

مثل لسان طويل مظلم حزين
يا جدار اسبانيا الابيض !
يا ثور الاسى الاسود !
يا دم اجناسيو المتخثر !
يا بلبل وريده !
لا .. انا لا اريد أن اراه

فلن يوجد كأس يستطيع ان يحتوي
(هذا الدم)

ولا عصافير تستطيع ان تشربه
ولا ثلج ابيض للنور يستطيع ان يبرده
لا اغنية ، لا جدول من ليلاك ابيض
لا كأس ليغمره بالفضة
لا .. لن اراه !

٣ - الجسد مائل

الصخر جبهة تئن فيها الاحلام
الصخر كتف يحمل الزمن
انني ارى شآبيب رمادية تهول نحو
(الامواج)

رافعات اذرعهن الرائعة السحريه
حتى لا تقع فريسة للصخرة الناتئه

التي تقطع سيقانهن دون ان تمس
(الدم)

فالصخرة تجمع الحب والفيوم
(وجمامح القبرات
والذئاب من الظلام المنتصف)

ولكنها لا تعطي صوتا
ولا بلورا ولا نارا

انها تعطي حلبات لمصارعة الثيران
والآن يرقد اجناسيو الطيب المولد
(على الصخر)

الآن انتهى كل شيء
ماذا يجري ؟ تفحص وجهه
لقد غطاه الموت بالكبريت الشاحب
ووضع رأس مينوتور اسود عليه
الآن انتهى كل شيء

المطر يجري خلال شفثيه
والهواء كالمجنون يغادر صدره الغريق
والحب مبللا بدموع ثلجيه
يدفء نفسه على أعالي المزارع التي
(تسرح فيها الخيول)

ماذا يقولون ؟ ان صمتا تننا يتمدد ،
ونحن هنا مع جسد مائل يضمحل
طاهرا جذب اليه البلابل
ونحن نراه مملوءا بثقوب لا قرار لها .
من يفضن الكفن ؟

ان ما أقوله غير صحيح
فلا جسد يعني هنا او يبكي عند
(الزاويه)

او ينخس المهماز أو يرعب الافعوان .
هنا لا اريد أكثر من عينين مدورتين
(لارى هذا الجسد
دون امكانية للهدوء .

اريد ان ارى هنا أولئك الرجال ذوي
(الاصوات الخشنه)

أولئك الذين يعقرون الخيل ويحكمون
(الانهار)

الرجال الذين لهياكلهم العظمية قصف
(الرعد)

والذين يغنون وأفواهم ملأى بالشمس
(والصوان)

اريد ان اراهم هنا
يواجهون الصخر

يواجهون هذا الجسد المهشم الحقوين
اريد ان يخبروني بنهاية هذا

(الربان المشدود شدا الى الموت
اريد ان يعلموني مرثية كالنهر

ذات ضباب عذب وجروف هاربه
لتحمل جسد اجناسيو
انه قد يضيع في حلبة القمر المستديرة
هذا الوحش الذي يتظاهر بأنه فتاة
(حزينه)

انه قد يضيع في الليل دون اغنية
(السمك)

لا اريد ان يغمروا وجهه بالمناديل
ليعودوه على الموت الذي يحمل اعباءه
امض اجناسيو ...

لا تحس بالهدير الحار ...
ارقد ..

طر بعيدا ...
ارتح ...

حتى البحر يموت !

٤ - الروح غائبة

لا الثور يعرفك ولا شجرة التين
لا الخيول ولا النمل في منزلك
والطفل لا يعرفك
والمساء لا يعرفك

لانك قد مت الى الابد !
وذكراك الصامته لا تعرفك
لانك قد مت لى الابد .

سيأتي الخريف بقواقعه وكرومه
(الضبابيه)

وتلاله المنعقده
ولكن لن يحب احد ان يحدق في
(عينيك)

لانك قد مت الى الابد .
لانك قد مت الى الابد .

مثل جميع موتى الارض
لا احد يعرفك ، لا ، ولكنني اغني
(من اجلك)

اغني لدراري ارهاصك ولروعتك
من اجل حصافتك الممتدة الاوضح
من اجل اشتهاك الموت وطعم شفثيه
من اجل أسى كان في مرحك البطولي .

سيمضي زمن طويل قبل ان يولد -
(ان امكن -

اندلسي طائر الصيت
غني مثلك بالمغامره
انني اغني في رثائه كلمات منتحبه
وأذكر نسима حزيننا على أشجار
(الزيتون .

البصرة - ترجمة سعدي يوسف